

مستقبل العلاقات الإسلامية (العربية) / الغربية بين توقعات نظريات الصدام

وافتراضات مقاربات الحوار

The future of Islamic (Arab) / Western relations between expectations of clash theories and assumptions of dialogue approaches



الدكتور/ بلال قريب^{1,2,3}

¹ جامعة بسكرة، (الجزائر)

² مخبر أثر الاجتهاد القضائي على حركة التشريع الجزائري، جامعة بسكرة

³ المؤلف المراسل: bilalgharib67@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/08 تاريخ القبول للنشر: 2020/06/01 تاريخ النشر: 2020/09/28



مراجعة الهقال: اللغة العربية: د. / سليم سعداني (جامعة الوادي) اللغة الإنجليزية: د. / سارة الناصر (العراق)

ملخص:

ملخص تميزت العلاقات الإسلامية (العربية) الغربية عبر فتراتها التاريخية المختلفة بالتصادم تارة والتعاون تارة أخرى، وهذا راجع لتغير في الاستراتيجية الأمريكية خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وهجمات الحادي عشر من سبتمبر وإعلان الولايات المتحدة الأمريكية مكافحة الإرهاب والذي حسمها مصدره الدين الإسلامي، حيث اعتمدت الإدارة الأمريكية في سياستها الجديدة على نظريات صراعية وصدامية تدعو إلى ذلك وعلى رأسها نظرية صدام الحضارات للمفكر الأمريكي صامويل هنتغتون، وفي جانب آخر ظهرت أصوات أخرى تنادي بضرورة تغليب الحوار على الصدام والصراع.

الكلمات المفتاحية: العالم الإسلامي؛ العالم الغربي؛ الحوار؛ الصدام؛ الحضارات.

Abstract:

Throughout its different historical periods, Western - (Arab) Islamic relations were marked by conflict at times and cooperation at others. This is due to a change in the American strategy, especially after the collapse of the Soviet Union, the September 11 attacks and the United States declaration of war against terrorism, the source of which, according to them, is "Islam." In its new policy, the US relied on conflictual and confrontational theories, especially the theory of the clash of civilizations by American thinker Samuel Huntington. At the same time, other voices have emerged calling for the necessity of dialogue in order to prevail over conflict and confrontation.

Key words: Islamic world; western world; dialogue; clash; civilizations.

مقدمة:

مقدمة أدت نهاية الحرب الباردة إلى الإخلال بنظام ميزان القوى والذي كانت أطرافه الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي سابقا، حيث تسبب هذا في انهيار الاستقرار الدولي القائم على نظام الثنائية القطبية، فالانهيار الذي عرفه الاتحاد السوفيتي عقب تلك الحرب مباشرة، مهد الطريق أمام القطب المنتصر (الولايات المتحدة الأمريكية) من أجل البحث أو إيجاد أو صنع نظام عالمي جديد قائم على الأحادية القطبية، ولتحقيق ذلك المبتغى والهدف سخرت الولايات المتحدة الأمريكية كل إمكانياتها (العسكرية، الاقتصادية، الثقافية...)، وكذلك استعانت بهيئة الأمم المتحدة إلى جانب حلف شمال الأطلسي والذي ارتأت الولايات المتحدة المحافظة عليه للحقبة الجديدة واستخدامه من أجل تحقيق أهدافها فيما يعرف بمرحلة سيطرة القطب الواحد على النظام العالمي لما بعد الحرب الباردة.

في نفس الوقت نشطت الدراسات والأبحاث على المستوى الأكاديمي خاصة عند المختصين في علم السياسة والعلاقات الدولية وبدأت عملية التنظير والكتابة للمرحلة الجديدة التي أعقبت انهيار الاتحاد السوفيتي، محاولة استشراف مستقبل العالم، وربما من بين أهم تلك الدراسات والنظريات التي حاولت تحقيق الثالوث الوظيفي (وصف، تفسير وتنبؤ)، هي أطروحة «نهاية التاريخ والإنسان الأخير» لصاحبها المفكر الأمريكي ذي الأصول اليابانية "فرانسيس فوكوياما"، والذي حاول من خلالها إعلان نهاية الأيديولوجيات، وإقرار بأن الإنسان الأخير سيعيش في كنف الديمقراطية الليبرالية إلى الأبد، لأنها التعبير النهائي والتألفي لتراكمات الفكر الإنساني.

كذلك ظهرت نظرية أخرى ربما أخذت حيزا كبيرا عن سابقتها وهي أطروحة "صامويل هنتغتون" حول "صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي"، والتي حاول من خلالها هنتغتون تبيان أن سمة العالم فيما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ستكون صراعية وأن هذا الصراع سوف لن يكون أيديولوجيا بل ستكون أطرافه حضارات وثقافات، حيث حسبته ستكون أخطرها على الحضارة الغربية الحضارتين الإسلامية والكونفوشيوسية مع التحذير من الأولى (الحضارة الإسلامية).

ومن أجل تحقيق أهدافها في الحقبة الجديدة سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى توظيف تلك الدراسات والنظريات وخاصة أطروحة صدام الحضارات في سياستها الخارجية اتجاه العالم العربي بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة، وذلك من أجل تفادي أي نتائج سلبية عن الأمن القومي الأمريكي والحضارة الغربية كما زعم صامويل هنتغتون من خلال أطروحته.

الإشكالية:

يشهد التاريخ عبر مختلف مراحله أن الصراع سمة من سمات الاتصال البشري، على أساس أنه عامل مؤثر في تشكيل وتكوين الحضارات وانتقالها، فانتقال المعارف والعلوم كانت نتيجة من نتائج عملية التصادم بين مختلف الشعوب باختلاف حضاراتها وثقافتها، لكن في نفس الوقت هذا لا يعني أن الحوار بين تلك الشعوب لم يلعب دورا مماثلا وربما بشكل أكبر وأوسع وأشمل، فالتاريخ كذلك شهد على أن

للحوار الباع الطويل في تحقيق التواصل الحضاري والثقافي بين مختلف شعوب المجتمع الدولي، لذلك فالتاريخ عرف فترات صراع وأخرى للحوار كان لهما أبعاد إيجابية بشكل عام رغم أن فترات الصراع خلّفت خسائر مادية وبشرية ومعنوية.

وفي الوقت المعاصر ومع التطور الهائل في وسائل الاتصال والإعلام والتكنولوجيات الحديثة للتواصل مع الآخر في ظل ما يعرف بالعملة أين أصبح العالم عبارة عن قرية واحدة، شهد العالم بمختلف ثقافته وحضاراته تواصلا لا مثيل له عبر التاريخ بحيث تفتّحت الثقافات والحضارات على بعضها البعض وأصبحت المرونة صفة العصر الحديث.

إلا أنه ورغم هذا التطور والتداخل الحضاري، يعتقد بعض الباحثين والمفكرين على غرار "صامويل هنتغتون" وحتى صناع القرار، أن التصادم والصراع الحضاري هو الشكل الذي سيؤول إليه العالم مستقبلا.

من خلال هذا تتمحور إشكالية الدراسة حول:

إلى أي مدى يمكن القول بواقعية صدام الحضارتين الغربية والإسلامية؟
الفرضيات:

- إن ما يحدث اليوم من تواجد غربي في معظم المناطق العربية يدل ويوحى على صراع حضاري مرتقب.

- كلما كان تواصل المجتمعات فيما بينها، كلما كان هناك تقارب وانفتاح للثقافات المختلفة على بعضها البعض.

- إن سعي بعض الدول من الجانبين إلى تبني أفكار ورؤى حول حوار الحضارات وتحالفها يدل على أن العالم مستقبلا سيشهد تكاملا حضاريا.

المقاربة المنهجية:

تم الاعتماد في هذه الدراسة على منهجين ومقاربة واحدة.

- تم الاعتماد على المنهج التحليلي وظهر هذا من خلال تحليل أهم افتراضات أطروحة صامويل هنتغتون حول صدام الحضارات.

- كذلك تم الاعتماد على المنهج الوصفي من خلال وصف بعض الأحداث عبر فتراتها الزمنية والمكانية المختلفة.

- كما تمت الاستعانة بالمقاربة الواقعية خاصة فيما يتعلق باستخدام مفهوم المصلحة والقوة واللّتان تعتبران ركيزتين من ركائز النظرية الواقعية في وصف وتفسير والتنبؤ للعلاقات الدولية.

وقد قسمت الدراسة إلى ثلاثة محاور أساسية:

المحور الأول: نظريات صدام الحضارات وتفسير الواقع الدولي.

المحور الثاني: الواقع الدولي ومقاربات الحوار رؤية مخالفة.

المحور الثالث: مستقبل العلاقات العربية (الإسلامية)/ الغربية بين التصادم والتحاور.

المحور الأول

نظريات صدام الحضارات وتفسير الواقع الدولي

تمهيد: أدى انهيار الاتحاد السوفياتي والذي عقب مرحلة نهاية الحرب الباردة بين القطبين الشرقي والغربي (الولايات المتحدة الأمريكية)، إلى جعل هذه الأخيرة تحضر لمرحلة جديدة سمتها هيمنة القطب الواحد الرأسمالي، حيث مهدت هذه المرحلة الجديدة لافتراضات ونظريات وأطروحات فكرية من أجل إيجاد نظام عالمي جديد يكون بديلاً لسابقه القائم على الثنائية القطبية، وربما من أبرز وأهم النظريات التي حاولت بناء تصورات وافتراضات للواقع الدولي لمرحلة ما بعد الاتحاد السوفياتي، نجد أطروحة صدام الحضارات لصاحبها صمويل هنتغتون والتي تعتبر من أكثر الأطروحات جدلاً في الفترة الأخيرة نظراً لأنها تفسر وتشرح نزاع الحاضر والمستقبل وكذلك تحاول تقديم الملامح الرئيسية لشكل النظام الدولي الجديد، وربما الجدل الكبير قائم على اعتبار هنتغتون أنّ سمة هذا النظام الجديد هي صراع وتصادم للحضارات

ترجع أطروحة "صدام الحضارات" إلى أواخر صيف عام 1993، حيث صدرت مقالة للمفكر الأمريكي "صامويل هنتغتون" نشرت على مستوى مجلة الشؤون الخارجية Foreign Affairs تحت عنوان "صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي"، حيث أظهرت المقالة أفكار صاحبها المبنية على أن الصراع - خلال القرن الماضي - سيتحول إلى صراع بين حضارات بدل صراع شرق/غرب (أيديولوجي)، في محاولة منه لقراءة مستقبل العالم المعاصر، وأضاف أن الصراع سيقصر على حضارات فقط ولن يكون صراعاً أيديولوجياً ولا اقتصادياً، وبعدها بثلاث أعوام أي بحلول عام 1996، ألف كتابه الشهير والذي يحمل نفس عنوان مقالته "صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي" والذي وضع فيه بالتفصيل شكل العالم الجديد ومستقبله.

يبدأ هنتغتون في كتابه صدام الحضارات وإعادة صناعة النظام الدولي بتقديم تعريف للحضارة ويعتبرها بأنها الكيان الثقافي الأكثر سعة وهي أساس الوجود الإنساني من خلال الشعور بانتمائه لحضارة تميزه عن الآخرين، ويرى بأنّ الحضارة تتكون من عناصر موضوعية كاللغة والدين والعرق والتاريخ والعادات وأنماط الحياة والمؤسسات إلا أن هنتغتون يرى بأنّ العنصر الأساسي لتكوّن حضارة ما هو الدين ويستدل على ذلك بقوله أنّ معظم حضارات العالم انقسمت على أساس ديني.

ثم يذهب هنتغتون إلى تبين الحضارات الكبرى المعاصرة ويقسمها إلى ثمانية حضارات وبالرغم من أنها لا ترمز كلها إلى الدين غير أنه يؤكد أساساً على البعد الديني في تعريفه للحضارة:

- الحضارة الصينية:

وقد ربطها هنتغتون بالمنظومة الأخلاقية لكونفوشيوس وقد أطلق عليها في مقاله الشهير الحضارة الكونفوشيوسية وهي حضارة تتجاوز حدود القطر الصيني وتشمل الشعوب الصينية التي تعيش في جنوب شرق آسيا والثقافات المرتبطة بها في فيتنام وكوريا.

- الحضارة اليابانية:

ويعتبرها هنتجتون حضارة متميزة عن الحضارة الصينية ولكنها متفرعة عنها.

- الحضارة الهندية:

ويرى هنتجتون أن هذه الحضارة تستمد قوتها من الهندوسية المكون الأساسي لها بالرغم من وجود طائفة إسلامية كبيرة وأقليات أخرى أقل أهمية. (هانتغتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، 1999، صفحة 75)

- الحضارة الإسلامية:

ويصنفها على أساس الدين الإسلامي الحنيف ويرى بأنها تضم حضارات فرعية مرتبطة كلها بالإسلام عربية، تركية، فارسية وماليزية.

- الحضارة الغربية:

وتضم أوروبا وأمريكا والدول التي يسكنها أوروبيون كزيلاندا الجديدة وأستراليا ويركز على الخصوصية الكاثوليكية البروتستانتية بشكل أخص في هذه الحضارة.

- الحضارة الأمريكية (اللاتينية):

وحسبه فإنها تتميز عن الحضارة الغربية كونها لم تتأثر بحركة الإصلاح ولم تمتزج فيها الثقافة الكاثوليكية بالثقافة البروتستانتية ولم تتأثر بحركة الإصلاح التي واجهت الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا وهي تضم الأهالي الأصليين الذين لا يوجدون في أوروبا وتمت إبادتهم نهائياً في أمريكا الشمالية. (هانتغتون، صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، تر: طلعت (الشايب)، 1999، صفحة 76)

- الحضارة الأرثوذكسية:

وتضم روسيا ومختلف الدول السلافية ويعتبر المذهب المسيحي الأرثوذكسي المكون الجوهري لهذه الحضارة.

- الحضارة الإفريقية:

وقد كان الباحث قليل التحمس في حديثه عن هذه الحضارة نظراً للصعوبات التي واجهها في تحديد معالمها، فاضطر لإلغاء الشمال الإفريقي الإسلامي منها واعتبر بأن الجزء الإفريقي الذي يقع جنوب الصحراء يمكن أن يكون حضارة محورها جنوب إفريقيا.

عند كلامه حول مستقبل العلاقات بين مختلف الحضارات من جهة والغرب من جهة أخرى يضع الإسلام والكونفوشيوسية في خانة الصراع والتوتر مع الغرب في حين تقل لدى كل من الإفريقية واللاتينية وعلاقة تتوسط السابقتين فيما يخص الحضارة الأرثوذكسية واليابانية والهندية ويعلل هنتجتون سبب وضعه للحضارة الصينية والحضارة الإسلامية في موقع الصراع مع الغرب على أن الحضارة الصينية يعزىها إلى نموها الاقتصادي والثقة الكبيرة بالنفس أما الحضارة الإسلامية فيعزىها إلى النمو الديمغرافي الكبير والحيوية والانبعاث الثقافي والحضاري والجانب الخطير هو تمسكها بالدين الإسلامي.

ولكنه يتوسع أكثر في إبراز المخاطر التي يمثلها الإسلام من خلال النمو الديمغرافي الذي يتمتع به والثروات الطبيعية التي ينعم بها وخصوصا الحركية الاجتماعية التي تحدثها الحركات الإسلامية في شتى المجالات الثقافية والاجتماعية والسياسية والتي ستجعل في الأخير من سيكون بيدهم الحكم في العالم الإسلامي ملتزمين بالهوية الإسلامية حتى وإن لم يكونوا من الإسلاميين المتشددين وهذا خلافا للفئات العلمانية التي حكمت العالم الإسلامي بعد فترة الاستعمار، وللحديث عن الخطر الإسلامي يخصص هنتغتون فصلين كاملين وهذا علاوة على ما نجده متناثرا في جل أجزاء الكتاب وبالرغم من أنه لا يعتبر الحضارة الإسلامية اليوم قوة عسكرية واقتصادية ويرى بأنها لا تتوفر على دولة محورية تتجمع حولها قوى العالم الإسلامي المتشعبة إلا أنه يعتبر هذه الحضارة أخطر من الحضارة الصينية نفسها ويبرهن على ذلك بالرجوع إلى أحداث التاريخ ليؤكد بأن الغرب كان دائما تحت تهديد الإسلام وأن الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة التي جعلت الغرب مهددا في وجوده مرتين عبر التاريخ وهي تهدده اليوم من داخله عن طريق زيادة عدد المهاجرين والنمو الديموغرافي الكبير الذي تعرفه الجالية الإسلامية في المجتمعات الغربية، وأخطر ما يصف به هانتغتون الحضارة الإسلامية أنها تمثل الحدود الدموية في العالم ويرسم بذلك بيان يوضح فيه بأن الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة التي لها علاقات صراع مع كل الحضارات ويستثني من ذلك العلاقة مع الصين، ويصرح بشكل واضح بأن الصدمات الخطيرة المرتقب وقوعها في المستقبل سيكون سببها تشابك الكبرياء الغربي واللاتسامح الإسلامي وإرادة فرض الذات الصينية، حيث يقول "سيسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية، ذلك أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل". (هانتغتون، آفاق الصدام: الإسلام والغرب، تر: مجدي (شرشرة)، 1995، صفحة 5)

وإثباتا لهذا التوجه والذي يعتقد بالتصادم بين الحضارتين الإسلامية والغربية، يرى الباحث جون.ل اسبوزيتوا والباحث قاسم عبده قاسم في كتابهما التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة؟ أن "وفقا لما يراه معلقون كثيرون، فإن الإسلام والغرب يسيران على طريق الصدام، إذ أن الإسلام يحمل تهديدا ثلاثيا: سياسيا، حضاريا وسكانيا، وغالبا ما يتم تصوير المواجهة على أنها صدام حضارات وهناك عاملان كان لهما تأثير خاص جذور الهياج المسلم وصدام الحضارات لصمويل هنتغتون، وكلاهما كان جوهريا في التعريف بمدى حجم الجدل الذي أمسك بتلابيب الدبلوماسيين وصناع السياسة والصحافيين والمحللين والأكاديميين". (جون وقاسم عبده، 2002، الصفحات 300-301)

المحور الثاني

الواقع الدولي ومقاربات الحوار رؤية مخالفة

تمهيد: كما تطرقنا سابقا لمضمون نظرية صدام الحضارات لصامويل هنتغتون والمبنية على فرضيتين أساسيتين يبني من خلالهما مستقبل العالم، الأولى وهي الصدام بين الحضارتين الغربية والكونفوشيوسية (الصينية)، والثانية وهي الأخطر حسب هنتغتون على أساس أنها تهدد الوجود الغربي

وهي الحضارة الإسلامية، حيث يبقى هذا التصور خاصا بصاحب الأطروحة الصدامية، فهي تبقى افتراضات افتراضها في دراسته مستشرفا من خلالها الكيفية التي سيؤول إليها المستقبل في ظل اندثار واختفاء العدو السوفيتي، إلا أنه من جانب آخر لو نظرنا إلى الواقع الدولي، لوجدناه قائما على الحوار تارة والتصادم تارة أخرى، ولكن المفارقة هنا تظهر في أن أطراف الصراع بدورهم لا ينتمون بالضرورة إلى حضارات مختلفة فمثلا التصادم الروسي/الأمريكي اليوم على اعتبار أن روسيا تعتبر نفسها الوريث الشرعي للاتحاد السوفيتي سابقا، وهذا التصادم نراه في عدم الاتفاق حول العديد من القضايا الدولية وعلى رأسها مثلا أزمة أوكرانيا والأزمة السورية، وفي جانب آخر التصادم السعودي الإيراني وعدم الاتفاق بل ووصل الأمر إلى حد قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، كما أنه في جانب آخر فإن مؤشرات الحوار بين المجتمعات الدولية في عصرنا الحالي لها دلالات أقوى من مظاهر الصراع، خاصة في ظل تواجد مؤسسات دولية تكفل استتباب الأمن والسلم الدوليين (هيئة الأمم المتحدة)، فالحوار اليوم هو سمة ملاصقة للمجتمعات الدولية خاصة في ظل التطور الهائل في وسائل الاتصال والتواصل وفي ظل العولمة كذلك "فمجلس الكنائس العالمي ومجلس كنائس الشرق الأوسط، قد عملا في الاتجاه نفسه في جنيف، روما والمشرق العربي والمغرب العربي، في المغرب ولبنان وجنيف وروما وأنشئت مراكز لتطوير الحوار". (سهييل، 2015، صفحة 31).

حيث عرفت مرحلة منتصف الستينات من القرن الماضي شروع تلك المراكز من أجل بعث الحوار الإسلامي المسيحي في روما وجنيف، ونشرت مجلات وكتب داعية لذلك وتم عقد الكثير من الاجتماعات على المستوى الدولي الإقليمي والوطني. (سهييل، 2015، صفحة 31).

كما أنه وفي جانب آخر "اتفق ممثلو العالم الإسلامي على أن الأرثوذكس (طائفة مسيحية)، مع تجربة قرون من التجاور والتواصل المتزن مع الثقافة الإسلامية والدين الإسلامي، حيث يمكنهم أفضل من سواهم أن يجدوا آليات مشتركة للعمل المشترك في موضوعات العالم المعاصر" (بحث علمي، 2013، صفحة 439)، حيث كان هذا التصريح ضمن فعاليات "المؤتمر الدولي" والذي انعقد في الأول من آذار عام 2005 في عاصمة المملكة الهاشمية الأردنية (عمان).

ويتضح الحوار الإسلامي المسيحي على أرض الواقع من خلال العديد من المؤشرات نذكر منها:

– العمل الابتكاري والاختراعات والإبداع الأدبي المشترك بين الحضارتين.

– التعاون والاشتراك في تطوير العلم.

– مجال الهندسة المعمارية وإنشاء المدن.

– السياحة والثقافة العامة.

– التعاون في تنفيذ برامج علمية متنوعة، وبرامج سياحية وترفيهية والتي لا يمكن أن تمحى من

ذاكرة الشعوب والحضارات. (ياكوفيتش، 2001، صفحة 279).

وربما يفسر هذا الحوار أصواتاً أخرى من داخل الحضارتين الإسلامية والمسيحية، من مفكرين وباحثين تدعو إلى تبني أطروحة أخرى تكون في اتجاه معاكس لأطروحة صدام الحضارات، بحيث تأخذ شواهدا وأدلتها من الواقع الدولي ولا تبني على تكهنات مثل نظيرتها الأخرى، فمثلاً نجد المفكر "غارودي" يقول في كتابه "حوار الحضارات" "الحوار بين الحضارات وحده يمكن أن يولد مشروعاً كونياً يتسع مع اختراع المستقبل ذلك ابتغاء أن يخترع الجميع مستقبل الجميع" (غارودي، 1999، صفحة 10)، حيث يعاتب روجيه غارودي الحضارة الغربية وينصحها بإعادة النظر في تعاملها مع الحضارات الأخرى، والانفتاح عليها، ويضيف بأن الحضارات الأخرى تعلمنا اكتشاف الآخر والتعايش والاستفادة منه، في جانب آخر نجد المفكر الإسلامي "ابن خلدون" الذي يؤكد على أن الحضارات تستفيد من بعضها البعض من خلال التواصل والاتصال، فحسبه الحضارة تظهر على أنقاض حضارة أخرى من بعد الاستفادة منها "فليس هناك حضارة عرفها التاريخ البشري من غير تراكم الحضارات التي سبقتها وتفاعلها معها وإثرائها...والحضارة المعاصرة ليست استثناء على القاعدة وليست خاصة، بل هي نتاج جميع الحضارات السابقة عليها". (الحمداي، 2012، صفحة 91).

إذن يتضح من خلال هذا أن الواقع المعيش اليوم في ظل سيطرة الحضارة الغربية، ما هو إلا واقع استندت فيه هذه الحضارة للحضارات الأخرى على غرار الحضارة الإسلامية وغيرها، من أجل وصولها إلى ما وصلت إليه اليوم من تطور في جميع المجالات.

كما أنه في جانب آخر أثبت الواقع الدولي ومن خلال تفجيرات مدريد الإرهابية في الحادي عشر من آذار/مارس من عام 2004 ظهور فكرة تحالف الحضارات والتي دعا إليها رئيس الوزراء الإسباني آنذاك "جوزيه ثاباتيرو"، حيث عبّرت تلك الفكرة على موقف اتصف بالحكمة في ظروف صعبة عاشتها العاصمة الإسبانية مدريد، وقد لقيت تلك الفكرة ترحيباً وتأييداً من كثير من القادة على المستوى العالمي، وخاصة على المستوى العربي والإسلامي، على أساس عدم اتهام المسلمين بالتفجيرات عكس دول أخرى دائماً تتسرع في اتهام الإسلام والمسلمين بضلوعهم في أي عمل إرهابي، ومن بين القادة الإسلاميين الذين رحبوا بالفكرة نذكر الرئيس التركي "رجب طيب أردوغان" حيث كان يحمل صفة رئيس الوزراء في تلك الفترة، وبعض قادة دول الخليج العربي. (الحمداي، 2012، صفحة 99).

إذن من خلال كل هذا يتضح أن الحوار عرف سبيله بين الغرب والإسلام بصفة خاصة وبين الغرب والشرق بصفة عامة والشواهد التاريخية والحالية خير دليل على ذلك، بداية بالتاريخ الماضي والذي وصل فيه العرب والمسلمون إلى الأندلس ومكثوا فيها قروناً عديدة، حيث لم يكونوا لا محتلين ولا مستعمرين، بل جلبوا معهم العلوم والفنون والهندسة وتجاوزوا مع نظرائهم من الغرب، وترجمت دراساتهم وعلومهم إلى اللغة اللاتينية، حيث استفاد الغرب منها في حضارتهم، وصولاً إلى اليوم حيث نجد مئات الرحلات بين الدول الغربية والعربية والإسلامية في مختلف مجالاتها (علمية، رياضية، سياحية...)، وكذلك دعوة الباحثين والمختصين في مجال الحوار الحضاري إلى أن ما يجمع الحضارات أكبر ما يفرقها.

وفي كتابه الإسلام وخرافة المواجهة الدين والسياسة في الشرق الأوسط يقول الكاتب فريد هاليداي بأنّ خرافة المواجهة والتي يشير إليها عنوان كتابه هي "خرافة مدّعمة من جانبين يبدو أن في الظاهر متناقضين -من معسكر أولئك الذين يسعون في الغرب أساسا-ولكن ليس وحده -إلى تحويل العالم المسلم إلى عدو آخر، معسكر من يدعون -داخل البلدان الإسلامية- إلى مواجهة مع العالم غير المسلم وخاصة الغربي" (هاليداي، الإسلام وخرافة المواجهة الدين والسياسة في الشرق الأوسط، 1997، صفحة 14).

كما أن الواقع يثبت من ناحية أخرى أن الصراع قد يكون داخل الحضارة الواحدة، نعم فالشواهد سواء التاريخية أو حتى الواقعية اليوم توضح وتبين بأن الصدام والصراع ليس بالضرورة صدام بين دول تمثل كل واحدة منها حضارة معينة، بل قد يكون ذلك الصراع بين دول تنتمي لنفس الحضارة وتجمع بينها قواسم مشتركة، فمثلا في الحضارة الغربية "كان العنف في القرن العشرين ضمن الحضارات ذاتها (بحث علمي، 2013، صفحة 525)، أكثر مما كان بين حضارات مختلفة: التصفيات الستالينية، الحربين العالميتين، والتي كانت تدور أبشع جرائمها داخل الحضارة الغربية بحد ذاتها، حيث لم يشهد التاريخ جرائم ومجازر مثلها، وكذلك حرب المئة (100) عام بين فرنسا وبريطانيا، اللتان تنتميان لنفس الحضارة، ويظهر الواقع المعاصر الصراع المتسارع عنه وغير المعلن بين فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، حيث يظهر هذا التصادم في ما يعرف بصراع المصالح بين الدولتين، ولا يخفى على أحد أنّ الولايات المتحدة الأمريكية تتبنى المقاربة الواقعية (الواقعية: مدرسة مؤسسة للفكر السياسي الدولي، وتقدم نفسها كجسم من النظريات والحجج المترابطة والتي انبثقت من ثلاث فرضيات أساسية: المصلحة، القوة، والدولة كفاعل وحيد في السياسة الدولية)، المعتمدة على المصلحة القومية والتي لا تقبل القسمة على اثنين كما يعتقد الأب الروحي للمدرسة الواقعية "هانس مورغنتاو" والذي يعتقد أنّ "تحقيق المصلحة الوطنية لا يقتضي اتباع سلوك مغامر، فهو ليس سوى العمود المؤشر بالنسبة للدولة في علاقاتها مع الدول الأخرى، حتى تملك ما يكفيها من القوة ولكيلا تحاول هذه الدول الأخرى فرض إرادتها عليه" (جيرارد، 2015، صفحة 65)، فما تريده الولايات المتحدة الأمريكية تحويل وتحويل الصراع من صراع مصالح إلى صراع حضاري وهذا ماتفطن إليه بعض كتاب الغرب ومنهم الكاتب السابق الذكر فريد هاليداي في كتابه السابق الذكر كذلك قوله أنّ خرافات الخطر الإسلامي والتي تؤجج لها خطابات بعض صناع القرار السياسيين والقادة كذلك شأنها شأن خرافات الشرعية أو القومية، فهي جزء من البضاعة البلاغية للصراع السياسي، يستخدمه كل من يريدون البقاء في السلطة ومن يتطلعون للوصول إليها، ويضيف طالما بقيت هذه المصالح، ستستمر عملية توليد الخرافات والخزعبلات حول موضوع الخطر الإسلامي والصراع أو الصدام بين الحضارتين الغربية والإسلامية (هاليداي، الإسلام وخرافة المواجهة الدين والسياسة في الشرق الأوسط، 1997، صفحة 15).

إذ ن يتضح من خلال هذا أن الصراع الحالي بين دول العالم هو صراع مصالح تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، وأن الأطراف الأخرى قد تكون من نفس الحضارة، وهو ما يؤكد أن الصراع موجود داخل الحضارة الواحدة.

كذلك ما نلاحظه اليوم من طلب بريطانيا خروجها وانفصالها عن الاتحاد الأوروبي يعيد النظر في مسألة التحالف الغربي، ليصبح الكلام عن توجه أنجلوساكسوني لبريطانيا، حيث تعتبر بريطانيا نفسها جزءاً من الحضارة الإنجليزية وأنها امتداد للحضارة الأمريكية وهو ما يعيد التساؤل حول إمكانية ظهور وتأجج الصدام الأوروبي/الأمريكي في لاحق الأيام/الشهور/السنين.

كذلك لو اتجهنا نحو عالمنا العربي والإسلامي لوجدنا صدامات وصراعات دموية عرفتها الحضارة الإسلامية عبر مراحلها التاريخية، يعود بعضها لأسباب صراعية وصدامية على سدة الحكم، وكذلك الصراع والصدام على أساس عرقي، طائفي، هذا الأخير والذي أخذ الحيز الكبير اليوم في العالم الإسلامي، طبعا هذا الصدام أجبت له أطراف خارجية بالدرجة الأولى ولكن في نفس الوقت تسببت فيه أطراف أخرى على مستوى بعض الدول الإسلامية والتي حاولت اللعب على وتر الطائفية من أجل تحقيق المصالح الخاصة بها، لتكون المصلحة الخاصة لبعض الدول الإسلامية ضمن أولوياتها وعلى حساب الانتماء للحضارة الواحدة، حيث تسعى إلى الحفاظ على موقعها الإقليمي والدولي من خلال إيديولوجيتها والتي توظفها من أجل تحقيق أهدافها على مستوى سياساتها الخارجية، وهذا طبقاً لنظرية المؤثرات الأيديولوجية "حيث تشير هذه الأخيرة إلى اعتمادها كسلاح رئيسي للصراع غير المباشر والذي يسعى إلى ترجيح المعتقدات المذهبية على غيرها في المجتمعات الأخرى أو النيل من تقاليدها، أو تحريك عوامل الصراع الداخلي فيها، أو استغلالها دعائياً ضدها، أو للتحريض على قلب أنظمة الحكم فيها" (كامل، 2015، صفحة 43).

ويقصد هنا بعض الأيديولوجيات في العالم الإسلامي والتي تتصارع فيما بينها (السنية والشيعية)، بحيث تحاول كل واحدة منها دحض الأخرى والقضاء عليها بدل تفعيل أساليب الحوار، وحتى داخل الأيديولوجيا الواحدة نجد صراعات وصدامات فيما بين تشكيلاتها وفرقها (السلفية، الإخوان المسلمون، الصوفية...) وفي المقابل (الزيدية، الاثني عشرية، الصفويين...).

كل هذا يوضح أن الصراع قد يكون محتدماً وفي أشده داخل الحضارة الواحدة وهو عكس ما يعتقد به المنظر والباحث الأمريكي هنتغتون، بل وامتد الصراع داخل العالم الإسلامي حتى وصل إلى مستوى قطع العلاقات الدبلوماسية بين بعض دوله مثل ما حدث سابقاً واليوم بين كل من المملكة العربية السعودية والجمهورية الإسلامية الإيرانية، حيث في 26 أبريل من عام 1988 الموافق ليوم الثلاثاء العاشر من رمضان عام 1408هـ، حينما قررت الحكومة السعودية قطع علاقاتها مع حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بعد اتهامها بالتورط في أعمال مخالفة لمبادئ حسن الجوار والاحترام المتبادل (محاولتها تهريب المتفجرات داخل المملكة العربية السعودية خلال موسم حج 1406هـ ومحاولتها المساس بالمصالح الأساسية لها، وكذلك ما تعرضت له السفارة السعودية في طهران من مداهمة وتخريب وتدمير

بل وقتل لأحد أفرادها (السيد، 2006، الصفحات 120-121)، وقد عاود السيناريو نفسه في سبتمبر من عام 2015م فيما يعرف بحادثة منى، حيث توفي ما يقارب 464 حاج إيراني، وحملت إيران السعودية المسؤولية في وقوع الحادث، وفي ردة فعل إيرانية تدافع آلاف الإيرانيين في طهران نحو السفارة السعودية للاحتجاج ثم اقتحامها وإحراقها وبعد أيام من وقوع حادثة اقتحام السفارة أعلنت المملكة العربية السعودية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران ودعت البعثة الإيرانية الدبلوماسية المتواجدة على أراضيها لمغادرة البلاد خلال 48 ساعة على الأكثر (الشيخي، 2020)، وبعدها تعلن المملكة العربية السعودية عن تحالف إسلامي آخر عربي لمحاربة الإرهاب تعني بذلك الجماعات الإرهابية في منطقة الشرق الأوسط بداية بالحرب على الحوثيين وجماعته في اليمن وكل الجماعات المدعومة من إيران.

وفي جانب آخر تتضح ملامح أزمة أخرى تعترى منطقة الخليج العربي والتي هي جزء من العالم الإسلامي، ويتعلق الأمر بمقاطعة أربع (4) دول عربية (المملكة العربية السعودية، مصر، الإمارات العربية المتحدة، البحرين)، لشقيقتهم في الأصل، الدين، اللغة، العرق وربما يدخل هنا حتى النسب، دولة قطر وفرض حصار بري بحري وجوي عليها، حيث ترجع أسباب هذه الأزمة والمقاطعة، حسب دول الحصار إلى اتهام قطر بأنها داعمة للإرهاب، بالإضافة إلى اتهامها بالتقرب إلى إيران والسماح لها بالتدخل في الشؤون الداخلية لدول المنطقة، ولا تزال الأزمة تراوح مكانها دون حل يبدو في الأفق القريب (الشيخي، 2020).

كذلك تظهر ملامح ومؤشرات أزمة أخرى بين المملكة العربية السعودية وتركيا، وهذه الملامح ربما تعود أسبابها في التقرب التركي من دولة قطر الشقيقة واتهام السعودية لتركيا بتدخلها في شؤونها الداخلية.

إذن من خلال كل ما تم عرضه يتضح أنّ الصراع سمة تلازم الحضارة الواحدة ولا يشترط أن تكون بين حضارات مختلفة ومتباينة كما ادّعى صمويل هنتغتون، وهذا الأمر هو ما يشهده الواقع اليوم، فالقول بأنّ سمة العالم المعاصر هي صدام للحضارات يجب أن يعاد النظر فيه على أساس أن الصراع أطرافه وأسبابه وأشكاله تبقى افتراضات يجب إخضاعها للواقع الدولي لمعرفة مدى تطابقها معه ومن ثم يمكن الحديث عن نظرية مفسرة للصراع سواء أكان حضارياً، أم ثقافياً، أم دينياً، أم دولياً، أم براغماتياً (مصلحي)... الخ.

- إلا أنه من جانب آخر لا يجب أن ننفي أن هناك تقاطعاً بين حضارة وحضارة أخرى قد يؤدي إلى التصادم والتصارع فمثلاً (تقاطع عادات وتقاليد ومبادئ وعقائد حضارة ما (إسلامية مثلاً) مع نظيرتها (الغربية)، قد يحدث ذلك تصادماً، لكن يبقى هذا التصادم سمة ملازمة لظهور قيم حضارة على حضارة أخرى وهذه سنة تاريخية، ولكن لا يجب أن يستغل على هذا الوتر من أجل تضخيم هذه السمة إلى صراع الكل مع الكل، ولا يجب أن يستخدم هذا لأغراض سياسية أو مصلحية، أو كحجة لدخول دولة في حرب مع دولة أخرى واحتلالها وتدميرها وتشيت شعبيها.

المحور الثالث

مستقبل العلاقات العربية (الإسلامية)/ الغربية بين التصادم والتحاور.

إن ما يميز العلاقات العربية/ الغربية في فترة ما بعد الحرب الباردة، ومع صدور دراسة الباحث الأمريكي صامويل هنتغتون، ثم بعد ذلك أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م، كانت في غالبيتها تمر بفترات توتر وفوبيا من الآخر، أصبح الغرب يملك فوبيا مما يعرف بالإسلام أو أي شيء متعلق به، إلا أن من ساعد على ترسيخ مثل هذه الأوهام هي نظريات على غرار الأطروحة السابقة الذكر والمتحدثة عن خطر إسلامي يهدد حضارة الغرب في المستقبل القريب، مما جعل الغرب اليوم يلصق أي عمل إرهابي يحدث بأي مكان في العالم بالمسلمين حتى وإن لم يكن مقترفو تلك الأعمال من المسلمين أو حتى من أصول إسلامية، وفي جانب آخر كانت نظرة العرب والمسلمين بدورهم فيها جزء كبير من الريبة نتاج الصورة النمطية والتي شكّلت عن الغرب والمبنية على أساس محاولة هذا الأخير تفكيك العالم العربي والإسلامي من خلال اتهامات باطلة للمسلمين وكذلك استخدام أفكار ونظريات بعض المفكرين والذين يحسبون على دولهم ومصالحها وقريبين من مراكز صنع القرار بها من أجل تحقيق أهدافها المستقبلية.

لكن من جهة أخرى يشهد الواقع الدولي على أنّ العلاقات العربية الإسلامية/ الغربية، بالرغم من دعوة البعض إلى أن ما يميز عالم اليوم هو صراع حضاري، غير أنّ ذلك لا يعكسه هذا الواقع بل يشهد تواصل كبيراً بين الشرق والغرب ويتجسد ذلك من خلال العلاقات بين دول العالم الإسلامي والدول الغربية في شتى المجالات (اقتصادية، سياسية، اجتماعية عسكرية وحتى ثقافية)، وكذلك ما يؤكد عليه القطاع السياحي والذي ربط العالمين من خلال التعرف على الآخر من خلال التعريف بحضارته وإيجابياتها وما قدمته للإنسانية جمعاء.

إن ما يشهده العالم اليوم من تطور تكنولوجي واتصالي وما تشهده المجتمعات من تواصل وتعارف خاصة فيما يعرف اليوم بالعمولة وما أحدثته من ثورة من خلال تقريب المسافات واختصار الأزمنة، وتوسيع في علاقات الإنسان، جعل الأمر ينعكس على العلاقات العربية والغربية، حيث تمتاز هذه العلاقة في وقتنا المعاصر بالتجاذب تارة والتقارب تارة ثانية، والتنافر وتبادل الاتهامات تارة أخرى، ويمكن تقسيم تلك العلاقات إلى نوعين:

1- العلاقات الإسلامية (العربية)/ الأوروبية:

تبنى العلاقات العربية/ الأوروبية في غالبيتها على أساس الجوار الجغرافي، والعلاقات التاريخية بين المنطقة العربية والقارة الأوروبية، وعلى هذا الأساس فإن أوروبا اليوم تعتبر المنطقة العربية سواء (المغرب العربي) أو (المشرق العربي)، شركاء استراتيجيين في الكثير من القضايا الحساسة والتي يتأثر بها الطرفان (كالإرهاب العابر للحدود، الجريمة المنظمة، المخدرات، الهجرة غير الشرعية...)، "فالتغيرات العميقة والتي مست النظام العالمي في بعده الجيوبوليتيكي خاصة، جعلت هذه الجهة (العالم العربي) الرهان الأساسي لإشكالية الأمن الأوروبي" (Collard, 1996, p. 109)، فمثلاً الاهتمام بالمسائل الأمنية في فترة ما بعد الحرب الباردة من طرف دول الاتحاد الأوروبي فرض عليه توقيع شراكات أمنية مع جيرانه سواء في المشرق

العربي أو المغرب العربي، وهذا ضمن ما يعرف أو عرف بالشراكة الأورو-متوسطية، والتي تجمع دول الاتحاد الأوروبي والدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط، والتي في غالبيتها هي دول عربية، ويجب الإشارة هنا إلى التقارب الأورو-متوسطي والذي تجسدت من خلاله فكرة الشراكة الأمنية المزدوجة بين ضفتي المتوسط، من خلال تحديد الوسائل والمناهج والمفاهيم لتحقيقها (Fulivia, 2001, p. 5).

وكان من بين أهم النقاط التي كانت محور الشراكة:

- رفع المستوى السياسي للعلاقة بين الاتحاد الأوروبي وشركائه المتوسطيين.

- العمل على تقاسم المسؤولية ضد المخاطر الأمنية الجديدة (الهجرة غير الشرعية، الإرهاب، المخدرات، الجريمة المنظمة...).

- العمل على وضع مشاريع ملموسة ذات بعد أمني إقليمي (كمنع إجراء مناورات عسكرية بالبحر الأبيض المتوسط، إزالة التلوث الكيميائي والصناعي).

كما يسعى الاتحاد الأوروبي اليوم إلى التعاون مع شركائه المتوسطيين من خلال تقديم المساعدة المالية والتكنولوجية والتنموية من أجل دعم اقتصاداتهم وبناءها، ويهدف الأوروبيون من خلال كل تلك المساعدات إلى ضمان قدرة تلك الدول فيما بعد للمساعدة على تحقيق الاستقرار والأمن في حدوده الجنوبية وحتى الشرقية.

وكانت سنة 2004 بداية لإطلاق سياسة "المجاورة الأوروبية" القائمة على أساس اعتبارات الجوار بين المنطقتين العربية والأوروبية وكل الدول المطلة على المتوسط من أجل تفعيل باب الحوار والتعاون في كل القضايا التي تهم الطرفين (آفي، 2016، صفحة 388) وفيما يخص أحداث الربيع العربي والتي اجتاحت العديد من الدول العربية مثل (تونس، ليبيا، مصر، سوريا واليمن)، فقد قسّمت تلك الأحداث الموقف الأوروبي بين مؤيد ومعارض للتدخل العسكري المباشر، حيث مثلت كل من فرنسا وبريطانيا الموقف المؤيد والداعم لقرار هيئة الأمم المتحدة القاضي بضرورة التدخل العسكري في ليبيا (القرار 1973) والذي وافقت عليه إحدى عشر دولة، من بين سبع وعشرين (27) دولة أوروبية، فيما مثل الاتجاه المعارض والرافض لأي تدخل عسكري ألمانيا (والتي تاريخياً تمانع في استخدام القوة خارج حدودها) (آفي، 2016، صفحة 388).

من خلال هذا يتضح أنّ ما حدث مثلاً في ليبيا هو تحديد لمصالح قومية، فدول الاتحاد الأوروبي انقسمت في الأزمة الليبية وغيرها لما يخدم مصالحها القومية فقط ولا دخل لمصلحة الحضارة الغربية ككل.

وكمثال آخر نجد الأزمة السورية الحالية، فموقف الاتحاد الأوروبي عبر عنه من خلال مؤسساته (جهاز العمل الخارجي والمفوضية الأوروبية)، حيث نادى بضرورة الاعتماد على الدبلوماسية والتفاوض من أجل حل الأزمة، ودعا لأي مبادرات من كل الأطراف من أجل الوصول إلى تسويتها بالطرق السلمية، كما دعا الاتحاد الأوروبي إلى ضرورة إشراك دول مجاورة لسوريا كتركيا وإيران كأجزاء من معادلة الحل، ورغم أن موقف الاتحاد الأوروبي من خلال سياسته الخارجية غير متفق عليه بين أعضائه، إلا أنه من

جهة أخرى ليس من مصلحته بقاء النزاع والصراع مستمرا داخل سوريا بصفة خاصة والشرق الأوسط بصفة عامة لأن ذلك سينعكس إن عاجلا أم آجلا على الأمن والاستقرار داخل أوروبا بحكم قرب المسافة والجوار الجغرافي.

على هذا الأساس سعى الاتحاد الأوروبي منذ مارس من عام 2011 لتخصيص حوالي 2.6 ملياريورو من أجل مساعدة السوريين داخل الدولة السورية، فضلا عن النازحين واللّاجئين (قيسون، 2020).

كما اتخذت ألمانيا موقفا إنسانيا، من خلال وزارة خارجيتها وذلك بالسماح لللاجئين السوريين بالدخول إلى أراضيها وتمتعهم بكافة الحقوق والتي يتمتع بها المواطن الألماني "حيث أكدت المستشارة الألمانية "أنغيلا ميركل" بأنّ بلادها يمكنها تدبر أمر اللاجئين السوريين في العام الحالي" (<https://arabic.rt.com/news/793260>، 2020)، ورغم أن القرار الألماني لقي تحفظا من بعض الدول الأوروبية كما لقي معارضة من دول أخرى كفرنسا إلا أن ألمانيا أكدت أنّ هذا القرار هو قرار سيادي خاص بالأمة الألمانية، وهو ما يؤكد من جانب آخر أنّه لا يوجد أي تحالف حضاري غربي، بل تبقى مصلحة الدول القومية هي السمة الأساسية لعالم ما بعد الحرب الباردة.

2- العلاقات الإسلامية (العربية)/ الأمريكية:

إن الحديث عن العلاقات العربية/ الأمريكية يقودنا إلى استحضار علاقة القطب الواحد مع دول المجال الحيوي بالنسبة لتصورات الاستراتيجية الأمريكية، أو علاقة قوة عظمى مع دول تنقسم إلى دول غنية وأخرى نامية أو سائرة في طريق النمو وبالتالي فالعلاقة هنا مبنية على أساس براغماتي (نفعي، مصلحي)، على أساس أن الولايات المتحدة الأمريكية تحاول من خلال تلك العلاقة الاستحواذ أو الحفاظ على مجالها الحيوي والخاص بها في منطقة الشرق الأوسط والتي تشمل حتى دول المغرب العربي، والمتابع لمسار العلاقات الثنائية بين الطرفين عبر مسارها التاريخي، أي منذ حرب الخليج الأولى والثانية، مروراً بنهاية الحرب الباردة وصولاً إلى أحداث الحادي عشر من سبتمبر ثم الوقت المعاصر، يلمح أن تلك العلاقة لم تختلف عبر كل مراحلها السابقة، بل بقيت متسمة بالبراغماتية والواقعية المصلحية، بل تعدى الأمر إلى توظيف المقاربات النظرية كنهاية التاريخ وصدام الحضارات في فترة ما بعد الحرب الباردة وتجسدت بشكل واضح بعد أحداث 11 سبتمبر تحت ذريعة محاربة الإرهاب في تلك العلاقة "حيث كانت الإجابات المبدئية عن سؤال حول الرؤية العامة لسياسة إدارة جورج بوش الابن اتجاه قضايا الشرق الأوسط في الفترة الممتدة من 2000 إلى غاية 2008، أنّها غير عادلة، امبريالية، إيديولوجية، استعمارية، سلبية، متخبطة، غبية وحمقاء، عسكرية، كارثية، متطابقة والكيان الصهيوني، عدوانية، مهيمنة، في حرب على الإسلام (الإرهاب حسبهم)، وتتبع معايير مزدوجة" (مطاوع، 2014، الصفحات 215-216) هذا ما يفسر التوجه الأمريكي نحو إسقاط ما هو نظري (نظرية صدام الحضارات)، على الواقع (منطقة الشرق الأوسط)، وهو ما جاء على لسان نائب الرئيس الأمريكي السابق "ديك تشيني" والذي قال وبالحرف الواحد

"نعلم بأن المرحلة التي نعيشها ونهيمن فيها على العالم لن تستمر مدى الحياة، لذا نحاول أن نمد هذه المرحلة لأطول فترة ممكنة" (مطاوع، 2014، صفحة 216) وهذا ما يجعل الولايات المتحدة الأمريكية تحرص على فرض هيمنتها على أكبر مساحة ممكنة من العالم، ويتضح هذا في عملية استنزافها لثروات منطقة الشرق الأوسط تحت ذرائع مختلفة: (محاربة الإرهاب، نشر الديمقراطية، حماية حقوق الإنسان...)، وفي سبيل تحقيق هذه المصلحة تسعى أمريكا إلى "تفتيت العالم العربي (الإسلامي)، بحيث لا تكون القوة المسيطرة على مخزون الطاقة العالمي قوة فاعلة، منظمة ومؤثرة، وبحيث لا يكون العالم العربي متفقا فيما بينه كذلك، ومن ثم تضمن بأن لا يصبح قوة مضادة سواء لمصلحتها أو مصلحة حليفها بالمنطقة (إسرائيل)" (مطاوع، 2014، صفحة 217).

وربما بدأت علامات هذا التفتت تظهر ملامحها فيما حدث لدول الربيع العربي مروراً بتونس إلى سوريا وصولاً إلى الأزمة الخليجية اليوم بين الشقيقة دولة قطر وأشقائها الخليجيين (المملكة العربية السعودية، الإمارات العربية المتحدة والبحرين)، بالإضافة إلى جمهورية مصر العربية، وتلعب الولايات المتحدة الأمريكية من أجل تحقيق هذا التفتت على وتر الفرق، والجماعات العرقية والطائفية.

والأمر الذي يبيّن الوجه الحقيقي للتوجه الأمريكي نحو تجسيد فكرة التصادم مع المسلمين والعرب هو إعلان الرئيس الأمريكي الحالي "دونالد ترامب" وبشكل انفرادي وارتجالي، بعيداً حتى على التشاور مع الحلفاء الغربيين والقوى المشكلة للمجتمع الدولي (روسيا والصين)، بأنّ القدس هي عاصمة الكيان الصهيوني، وهو الأمر الذي لقي رفضاً واسعاً ليس من طرف العرب والمسلمين فقط بل حتى من يعتبرون جزءاً من الحضارة الغربية (أقطاب الاتحاد الأوروبي)، حيث قالت رئيسة الوزراء البريطانية "تيريزا ماي" أنها "تعتزم الحديث مع ترامب بشأن وضع القدس، والذي قالت إنه يتعين أن يتحدد في إطار تسوية بين الإسرائيليين والفلسطينيين، معتبرة أن البلدة القديمة في إشارة إلى القدس يتعين في نهاية المطاف أن تتقاسمها إسرائيل مع دولة فلسطين" (<https://arabic.rt.com/news/793260>، 2020).

كما اعتبر البابا "فرانسيس" أنه لا يمكنه التزام الصمت بشأن قلقه العميق من الوضع الذي طرأ في الأيام القليلة الماضية، كما حذر من جانبه "مارتن شولتس" زعيم الحزب الديمقراطي الاشتراكي في ألمانيا، من أنّ ترامب يقوض الاستقرار الدولي بقراره المزمع الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ونقل السفارة الأمريكية إلى هناك (<https://arabic.rt.com/news/793260>، 2020).

كما أبدت الصين قلقها من إعلان ترامب قائلة أن ذلك قد يفجر أعمالاً عنيفة جديدة، واعتبر الكرملين أن روسيا تشعر بالقلق من العمل الفردي للرئيس الأمريكي والذي قد يؤجج من الاعتداءات المتبادلة.

من هنا يتضح أنّ الولايات المتحدة الأمريكية وجدت نفسها منعزلة ومعزولة عالمياً، رغم امتلاكها لحق الفيتو إلا أن المجتمع الدولي قال كلمته وأدحض واقعية ما افترضته نظرية صدام الحضارات. إلا أنّ هذا التصرف والذي يعكس نوعاً ما تصادماً بين الغرب والعالم الإسلامي، هو توتر على مستوى الجهات الرسمية من خلال السياسة الخارجية لصناع القرار الأمريكي، أما على مستوى القاعدة

الشعبية فالأمر معاكس تماما، حيث نرى مفارقات ذلك من خلال مجالات عدة (سياحة، خرجات علمية، مظاهرات رياضية...)، حيث أثبتت الشعوب على مستواها، أنها تؤمن بتعدد الثقافات والديانات وحتى العرقيات، (إن استثنينا بالطبع بعض الحالات والتي تغذيها جهات متطرفة ومتعصبة تحويها كل المجتمعات عربية كانت أو غربية)، فنجد على مستوى قطاع السياحة مثلا مئات إن لم نقل الآلاف من الرحلات ما بين الولايات المتحدة الأمريكية والدول العربية والإسلامية، من أجل التعرف على المعالم التاريخية والثقافية والحضارية بينهما، كذلك على مستوى التظاهرات الرياضية نلمح ذلك الانسجام بين كل الأجناس بمختلف عرقياتها وثقافتها وحضاراتها، ويتفوق هنا العنصر الإنساني عن كل الافتراضات والتي ترى عكس ذلك.

الخاتمة:

بعد دراستنا لموضوع مستقبل العلاقات الإسلامية (العربية)/ الغربية بين توقعات نظريات الصدام وافتراضات نظريات الحوار، وبعدما أخضعنا أطروحة صامويل هنتغتون للواقع الدولي ومحاولة تبين تطابقها من عدمه معه، وكذلك من أجل محاولة استشراف صحيح لمستقبل العلاقات العربية (الإسلامية)/ الغربية، توصلت الدراسة للنتائج التالية:

- أطروحة صدام الحضارات لا تعكس تماما توجه المجتمعات سواء العربية (الإسلامية)، أو الغربية، أو حتى الكونفوشيوسية نحو التصادم والصراع وهذا استنادا إلى جملة من التفاعلات على مستوى الواقع والتي هي إيجابية في مجملها بين مختلف شعوب العالم.
- الواقع الدولي اليوم يثبت سعي بعض دول العالم من الجانبين الغربي والإسلامي إلى تبني رؤى تساعد مستقبلا في عملية الحوار الحضاري والذي يفضي إلى تحالف شامل لحضارات العالم وهو تاريخي من نوعه إن تحقق.
- العلاقات الثنائية بين الدول العربية والغربية والقائمة على أواصر الصداقة، التعاون، والشراكة تعكس تماما توجه العالم بكل حضاراته نحو التمازج بدل التصارع.
- سعي الطرف الواحد ممثلا في الولايات المتحدة الأمريكية نحو الهيمنة على العالم والسيطرة عليه من خلال التحكم فيه وقبضة اليد على منابع النفط والمواد الأولية، لا يعني أبدا أنها تقود صراعا حضاريا بل تعمل على تحقيق مصلحتها القومية لا غير.
- الغرب اليوم لا يمثل توجهها واحدا بل هو منقسم، وبدوره العالم العربي والإسلامي اليوم كذلك لا يمثل توجهها واحدا بل هو متشعب التوجهات تماما، وتلعب هنا المصلحة القومية دورا كبيرا في اختلاف وانقسام التوجهات، مما يفند احتمالية تصادم حضاري مستقبلا.
- المؤشرات اليوم تدل على احتمالية ظهور حرب باردة جديدة أطرافها دول قومية لها نفس الدين هي روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، مما يدل على أن الصراع والتصادم مستقبلا سيبقى وسيكون أيديولوجيا وليس حضاريا.

توصيات تتعلق بالعالم العربي والإسلامي وعلاقته مع الآخر:

- ضرورة التنسيق والعمل المشترك فيما بين الدول العربية والإسلامية من أجل تقديم صورة الإسلام الحقيقية للعالم الغربي، والمبنية على التعايش السلمي والتعارف واحترام الأديان والثقافات المختلفة.
- السعي نحو بناء مستقبل قائم على تحالف حضاري، يسبقه في ذلك ضرورة الاهتمام بالتعليم والشباب والإعلام والهجرة، كركائز ودعائم لهذا المشروع الإنساني الحضاري.
- عقد مؤتمرات وملتقيات دولية تجمع بين مختلف العلماء من مختلف الحضارات، الثقافات والديانات من أجل تفعيل الحوار والتحاور وضرورة الإلحاح على ذلك من أجل محاربة أي نوع من أنواع التطرف.
- إنشاء مركز إسلامي تشترك فيه كل الدول الإسلامية ويعمل بشكل سنوي من أجل إعداد دراسات وبحوث ومقالات حول الدين الإسلامي ودعوته للحوار مع الآخر وترجمتها لمختلف لغات العالم.

مراجع المقال:

- 1- Daniel (Collard), "la conférence de Barcelone et le partenariat Euro-Méditerranéen", défense national n2, fév, 1996.
- 2- Fulvia (attina), «the European security partnership: NATO and the European Union», jean-Monnet working papers, n°29, March, 2001.
- 3- آفي (شلايم) وآخرون، الشرق الأوسط الجديد: الاحتجاج والثورة والفوضى في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، 2016.
- 4- بحث علمي جماعي، حوار الحضارات والعلاقات الدولية، دار علاء الدين، دمشق، 2013.
- 5- جيرارد (ديسوا)، دراسة في العلاقات الدولية: النظريات البيدولتية، تر: قاسم المقداد، الجزء الثاني، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 2015.
- 6- حسن عمر (كامل)، المجالات الحيوية الشرق أوسطية في الاستراتيجية الإيرانية، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2015.
- 7- سهيل (فرح)، حوار وشراكة الحضارات: أبعاد الدين والثقافات، تر: ريماء (علاء الدن)، دار علاء الدين، دمشق، 2015.
- 8- صامويل (هنتغتون)، آفاق الصدام: الإسلام والغرب، تر: مجدي (شرشرة)، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1995.
- 9- صامويل (هنتغتون)، صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، تر: طلعت (الشايب)، (د.م.ن)، (د.د.ن)، ط2، 1999.
- 10- عبد الحميد عصام (السيد)، العلاقات السعودية الإيرانية: 1982-1997، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2006.
- 11- علي محمود (الحمداوي)، خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح: دراسة مقارنة بين المنجز الغربي والمنجز الإسلامي، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- 12- مطاوع (محمد)، الغرب وقضايا الشرق الأوسط من حرب العراق إلى ثورات الربيع العربي: الوقائع والتفسيرات، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2014.
- 13- يوري (ياكوفيتش) وآخرون، حوار وشراكة الحضارات، تر: ريماء (علاء الدين)، دار علاء الدين، دمشق، 2001.
- 14- فريد (هاليداي)، الإسلام وخرافة المواجهة الدين والسياسة في الشرق الأوسط، تر: محمد مستجير، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997.
- 15- جون ل (اسبوزيتو)، قاسم عبده (قاسم)، التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة؟ ط2، دار الشروق، القاهرة، 2002.
- 16- مواقع الإنترنت
- 17- قيسون إبراهيم، "سياسة الاتحاد الأوروبي اتجاه القضية السورية: الثوابت والمتغيرات"، نقلا عن: <http://www.torancenter.org/2016/12/27/>

- 18- هدى الشيعي، "العلاقات السعودية الإيرانية: تاريخ من التوترات"، نقلا عن:
/http://www.masrawy.com/news/news_publicaffairs/details/2017/11/13/1190227
- 19-62- "ما سر احتضان ميركل للأجئين السوريين؟" نقلا عن:
https://arabic.rt.com/news/793260-20
- 21- "ردود فعل دولية معارضة لخطط ترامب اتجاه القدس"، نقلا عن: /https://www.arab48.com